KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

أثر الثّقافة الأبويّة في شعر شعراء الحداثة العراقيين الرّواد– التّناص اللغويّ أنموذجاً

The impact of patriarchal culture on the poetry of the pioneering Iraqi modernist poets – linguistic intertextuality as an example

أ.د. أحمد عويّز حسين
الباحثة حوراء عايد محّان
كلية الآداب/ جامعة الكوفة
Prof Dr. Ahmed Owaiz Hussein
Researcher Hawra' Ayed Mahan
Faculty of Arts/ University of Kufa

DOI: https://doi.org/10.36322/jksc.175(D).18691

الملخص:

ارتكز مفهوم التّناص في القصيدة الحديثة لشعراء الحداثة العراقيين الرّوّاد على أثر التّناص اللغويّ القديم، بوصفه من الرّكائز الأساس التي يعتمد عليها الشّعراء الرّواد في نصوصهم الشّعريّة، ومع أنّهم سعوا إلى إحداث ثورة على التّقليد إلا أنّهم قد انساقوا تحت هيمنة الثّقافة الأبويّة. إنّ موضوع التّناص هو واحد من الموضوعات بارزة الأثر التي قاربها هذا النّقد . النّقد الحضاريّ . لذا اهتمت هذهِ الدّراسة بتسليط الضّوء على التّناص في النّص الشّعريّ الحديث، ومعرفة مدى تأثير هذهِ الثّقافة فيها وهيمنتها عليه.

الكلمات المفتاحية: الثّقافة الأبويّة، التناص اللغويّ، شعراء الحداثة العراقيين الرّواد.

Abstract:

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

The concept of intertextuality in the modern poem of the pioneering Iraqi modernist poets was based on the effect of the ancient linguistic intertextuality, as one of the main foundations on which the pioneer poets relied in their poetic texts. Although they sought to revolutionize tradition, they were drawn into the dominance of the patriarchal culture. The subject of intertextuality is one of the prominent topics of impact that this criticism, civilized criticism, has approached. So this study focused on shedding light on intertextuality in the modern poetic text, and knowing the extent of the influence and dominance of this culture on it.

Keywords: Patriarchal culture, Linguistic Intertextuality, the Pioneering Iraqi poets of Modernity.

المقدمة:

إنّ الأبويّة هي فكرة مركزيّة من أفكار النّقد الحضاريّ، وقد ظهر عند الدّكتور هشام شرابيّ، والدّكتور عبد الوهاب المسيريّ، والدّكتور إدوارد سعيد، ليحدث نظرة جديدة تنطلق من التُراث القديم؛ لترصد المشاكل التي أصابت الوعي العربيّ، ومن ثّم معالجتها بطريقة واعية.

وقد اخترت التّناص؛ لأنّه من أبرز الملامح التي بيّنت التأثير الأبويّ على شعراء الحداثة العراقيين الرّواد الذّين حاولوا الخروج على النّسق التّقليدي القديم، وعلى الرّغم من أنّهم ليسوا شعراء مدينين إلا أنّهم رزحوا تحت هيمنة الثّقافة الأبويّة القرآنيّة، والثّقافة الأبويّة الشّعريّة القديمة.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

-التّناص في المعنى الاصطلاحيّ:

كثيرة هي تعريفات التّناص (Intertextuality) التي حاولت الإحاطة به على وجه الدّقة، إلا أنّها لا تتفاوت في وضع حدود تجمع على أنّه الأخذ من النّصوص السّابقة، فهو من المفاهيم النقديّة الحديثة التي عُنيت بالدراسة والبحث على المستويين التّنظيريّ والتّطبيقيّ، وهو في "أبسط صوره تضمين نصّ أدبيّ نصوصاً، أو أفكاراً أخرى سابقة له عن طريق الاقتباس، أو التّضمين، أو التّلميح، أو الإشارة، أو ما شابه ذلك من المقروء الثّقافيّ لدى الأديب، إذ تندمج هذه النّصوص، أو الأفكار مع النّصّ الأصليّ وتندمج فيه ليتشكل نصّ جديد واحد متكامل".[١] تذهب جوليا كرستيفا إلى تعريف التّناص بأنّه: "ترحال للنصوص وتداخل نصيّ، ففي فضاء معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[٢]. يتضح لنا من هذا النّصّ أنّ النّصوص في حال سفر عبر الزّمن في الوعي الجمعي للشعراء، منذ لحظة انطلاق النّص إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إنّ المقصود من التّناص هو: ما يتعالق ويتداخل من النّصوص في علاقة تواشجية مع نص يحدث بكيفيات تختلف عن الأصل[٣]، وهذا يعني أنّ النصوص تتواشج فيما بينها في علاقة واحدة، وتظهر من نص أصيل وسابق في التأليف، ليكون الأصل الذي يظهر بصورة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة في هذهِ النّصوص. وقد وِصف بأنّه "فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة"[٤]. نلحظ أنّه أشبه بتشكيلة من الألوان المختلفة، تلاقحت فيما بينها لتكون نصاً جديداً فيه من الملامح الأصلية للنص القديم. وثمّة تعريف آخر، يؤكد أنّ التناص عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكلّ نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى.[٥] فاللوحة لا تظهر معبرة عن مقصد الرّسام، إلا بعد إضافة تشكيلة من الألوان المتمازجة فيما بينها، كذلك الحال بالنّسبة للتناص، إذ لا يظهر إلا بمزج نصوص متداخلة من الاقتباسات المتراكمة في وعيّ الكاتب. ويرى الغذاميّ أنّ التناص "يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

تماماً مثل الكائن البشريّ، فهو لا يأتي من فراغ، كما أنّه لا يفضي إلى فراغ، إنّه نتاج أدبيّ لغويّ لكلِّ ما سبقه من موروث أدبيّ، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه. ومن طبع النّصّ الأدبي أن يكون مخصباً ومنتجاً تماماً مثل كلِّ كائن حيّ كالإنسان والشّجرة"[٦]، يشبّه الغذاميّ التّناص بالشّجرة الممتدة في جذورها التي تنشأ منها جذور فرعية أخرى، فهو يرى أنّه . التناص . مثل الإنسان لا يأتي من لا شيء، وإنما هو موروث انتاجي يأتي بثماره دائماً على هيئة نصوص وليدة. فلا يوجد تعبير من تلقاء نفسه، إلا ونجد بين طياته تعبيراً عن أحداث متسلسلة ومتتابعة في توزيع الأدوار والوظائف[٧].

وثمة ناقد آخر، يذهب إلى أنّه لا يوجد ملفوظ إلا وتربطه علاقة بملفوظات (نصوص) أخرى[٨].فالتّناص يعني أنّه عبارة عن ملفوظات ونصوص وعبارات واقتباسات، تجمع في وعي الكاتب وفي لاوعيه، عبر مخزونات أدبية متراكمة تظهر عند حاجة الكاتب إليها، بطريقة تلقائية تارة وانتقائية تارة أخرى.

يمكن القول: إنّ لمفهوم التناص تعريفات متعددة بين دارسيه، إلا أنّها تصّب في معنى واحد، هو التّعالق والتّداخل والتّواشج بين النصوص السّابقة والنصوص اللاحقة، وأنّ هذا التّداخل والتّعالق يُفضي إلى نصوص جديدة في شكلها قديمة في جوهرها، من حيث الفكرة والمضمون.

المبحث الأوّل: التّناص القرآنيّ:

إنَّ التّناص القرآني "نوع من أنواع التّناص الذي استند إليه الشّاعر"[٩]، كونه من أبرز التأثيرات القديمة التي تركتها الثّقافة الأبويّة في مجتمعه. وقد اهتم به الشّاعر؛ لأنّه ينضوي تحت لواء الفكر الدّينيّ، وهو من مصاديق هذهِ الثّقافة المهيمنة في النّظام الأبويّ. فيكثر الشّاعر من تضمين شعره نصوصاً قرآنية تكون فيها الثّقافة الأبويّة واضحة الأثر في النّصّ الشّعريّ.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وأولى توظيفات التّناص، نجدها عند مظفر النّوّاب في قصيدة " من الدّفتر السّري الخصوصي لإمام الغنين"، التي يتكئ فيها على نص قرآنيّ تجلى واضحاً من مخزونه الثّقافيّ، إذ ينضوي تحت نسيج المجتمع الثّقافيّ الأبويّ:

لي الله في غربة
ما خفضت الجناح لغير الأحبة فيها
وفي يقظتي والمنام[١٠].

من التّناص الأبويّ الذي ترك أثره واضحاً في قول الشّاعر، تناص قرآنيّ مأخوذ من سورة الشّعراء {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ }،[١١] إذ نجدُ أنّ الشّاعر قد استعمل التّناص الأبويّ لسببين: الأوّل: أنّه أثرى شعره، والثّاني: أنّه عاد يرزح تحت هيمنة أبويّة قديمة لم يستطع النّقاد منها عبر مخزونه الثّقافيّ.

ومن مصاديق التّناص القرآني، ما نجده عند الشّاعر نفسه في قصيدة (من بيروت): فهو لم يستطع التنكر للموروث القرآني في كتاباته الشّعريّة:

جاء جنود سليمان
أيّها النّمل فادخلوا لمساكنكم[١٢]

يرى أن التّناص قد يكون ملائماً إلى حدٍ ما مع فكرته التي يعود إليها، من الأثر الأبويّ ذو الأصل القرآنيّ في نصه الشّعريّ يبدو واضحاً، إذ لا يمكن أن ينشأ شاعر من دون أن يستند إلى ثقافة قديمة كان قد تشرّبها في لا وعيه في قوله تعالى: "النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ "[١٣]

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ومن ذلك قول البياتيّ في قصيدة (الموت)، التي حملت أثراً واضحاً كان قد تُرك من قِبل ثقافة الشّاعر الأبويّة:

الثعلب العجوز

الملتحي بالورق الأصفر والرموز

.....

يذلُّ من يشاء

يعزُّ من يشاء[١٤]

نلحظ أنّ في هذا النصّ تناصاً مع نص قرآني كان قد ترك أثراً في وعي الشّاعر وهو قوله تعالى: {قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٥]. نجد أن فكرة التّناص قد نشأت من الخزين اللغويّ للشاعر الحديث الذي دأب على منوال أسلافه، في استحضاره نصوصاً قرآنية ليضمنها في شعره نتيجة تأثيرات الثّقافة السّائدة في مجتمعه الأبويّ المهيمن.

وبالرّجوع إلى المعنى التّراثيّ الأبويّ، نجدُ أن أثره واضحاً في النّصّ الشّعريّ في قصيدة (صورة للسهروردي في شبابه):

لو كان البحر مداداً للكلمات لصاح الشاعرُ: يا ربي،

نفدّ البحرُ وما زلت على شاطئه أحبو.

الشّيب علا رأسي وأنا ما زلت صبيا لم أبدأ بعد طوافي ورحيلي[١٦]

قد تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، لكونه ينتمي إلى بيئة دينية ينشأ فيها الفرد على تعلّم القرآن الكريم، فترك هذا التعلّم الأثر الكبير في تفكيره عبر تسريبات غير مقصودة، استطاعت بسيرورتها عبر الزمن أن تكوّن

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ثقافته، التي حاول أن يعلن تمرده عليها بما تحمل من تقاليد، إلا أنّه ما برح أن وجد نفسه تحت سطوتها بلا وعي منه، فهو قد تأثر بقوله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}[١٧].

وفي نص آخر نرصد فيه تأثير التناص الذي انبثق من الثّقافة الأبويّة، التي دعته إلى أن ينسجم مع الجوّ القرآنيّ الذي أسبغه على وعي الشاعر البياتيّ في قصيدة {النبوءة}:

عِندما ينفَخُ في الصُّورْ ولا يستَيقِظُ الموتَى ولا يلْمَعُ نُورْ

ويصِيحُ الدِّيكُ فِي أطلالِ "أورْ"

آه ماذا لِلمُغنّي سأقُولْ؟[١٨]

في هذا النّص الشّعريّ يجتزئ الشّاعر باللاوعي التراكمي لديه بجزء من الآيتين المباركتين: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[١٩] إذ استوحى فكرته من الأسلوب القرآني بطريقة لا شعورية؛ نتيجة للأثر المتبقي في لا وعيه.

وقوله في قصيدة (في حانة الأقدار) نجد أن التناص القرآني قد عمّق حضوره في فكر الشاعر عبر استحضار النصّ القرآنيّ:

القَمرُ الأعمَى بِبطنِ الحُوت

وأنتَ في الغُربةِ لا تَحيا ولا تموت[٢٠].

يتناص الشاعر مع الآية الكريمة: {إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا}[٢١]، نجد أنّ النّصّ قد أفضى إلى منبع ثقافيّ واحد وهو الأبويّة الثّقافيّة، فالشاعر يمثل إعادة جديدة في النّصّ لإنتاج أبويّة . مختزنة في الوعي واللاوعي الجمعيّ لديه . مستحدثة بغطاء جديد ولكنّها جوهر قديم.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وقوله في قصيدة (الحجر)، التي يُعدّ التّناص فيها من أبرز ما امتازت به التأثيرات الأبويّة التي أحالت إلى نصّ سابق عنها :

عَصا سُلَيمانَ عَلَى بلاطَةِ الزَّمان
وهو عَلَيها نائِمْ
مُتّكِئ يقظانْ
ينْخرُها السّوسْ
فَيهوى مَيتاً رَمِيمْ[٢٢].

في هذا النص نلحظ أنّ البياتي يوظف معنى الآية الباركة {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ}[٢٣]، فالشاعر "يحمل في نصه رماداً ثقافياً"[٢٤] أبويّاً، لم يستطع الفكاك من هيمنته الطاغية على وعيه، بل سار على خطى أسلافه في إنتاج نصّ جديد هو في أصله تحويل من نصّ سابق.

نستنتج ممّا تقدم أنّ القصيدة العربيّة لشعراء الحداثة العراقيين الرُّواد، قد احتوت نصوصاً قرآنيّة كثيرة ومتنوعة على مستوى التّناص اللغويّ، وقد تحولت إلى نصوص متشكلة من لوحة فسيفسائية متشرّبة لنصوص أبويّة. إذ تظهر سمة الأثر في التّناص واضحة على شخصية الابن البار بنصه التّراثيّ القديم. ويتضح أنّ الثّقافة الأبويّة للشاعر الحديث هي جزءٌ من عادته التي كانت مهيمنة بشكل ملفت على نصوصه، التي لم يسمح لنفسه أن يتجاوزها بتضمينه لثقافة معينة طرأت عليه غير القرآن الكريم.

المبحث الثّاني: التناص الشعريّ:

قد كان التّناص الشّعريّ من أبرز التلاقحات الشّعريّة المهمّة التي يعتمد عليها شّعراء الحداثة في نصوصهم الشّعريّة، "على الرغم من ثورتهم على التقليد إلا أنهم قد دعتهم أسباب أخرى للإشارة إلى

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الشّعريّة العربيّة"[٢٥]. والوقوع تحت تأثير الثّقافة الأبويّة لا سيّما في النّصوص الشّعريّة القديمة والتّشرّب منها إذ "يندر وجود مبدع لم يهضم تراث أسلافه ويطلع على تجاربهم ويشق طريقه وسط ذلك الزّحام"[٢٦]، فثمة تداخل في تناصات الشّاعر الحديث مع التّراث الأبويّ الإنساني، فهو صورة متحورة عن أبيه قد أسبغ عليها الزّمن حداثة في الشّكل، وبقيت عاداته وتقاليده مؤثرة عليه في المضمون.

نلحظ أنّ التّناص في الشّعر الحديث لم يأخذ منزعاً مغايراً للتناص القديم، بل أصبح خلفاً ناضجاً، وجزءً ملتحماً ومتمازجاً مع النّصوص الشّعريّة القديمة التي تُعيد بناءها [٢٧]، من ذلك قول النسياب الذي كان خاضعاً لهيمنة الأثر في التّناص الشّعريّ:

كالمنزل المهجور تعوي في جوانبه الرّياح[٢٨]

من الملاحظ بعد التّأمل في النّص أنّ تأثره في الشّاعر الجاهليّ المنخّل اليشكريّ:

وإذا الرّياحُ تَنَـاوحَتْ بِجَـــوَانب البَيـــتِ الكَـسِـيرِ[٢٩].

يُبيّن أنّ هذهِ الظّاهرة توحي بهيمنة أثر الثّقافة التي استحضرها عبر اطلاعه على ثقافة النّصوص الجاهليّة.

وقول النواب نلمس به الأثر الأبويّ في النص الشّعري واضحاً عبر ما يتركه من صدى لنص المتنبيّ يُماثل فيه هيمنة تلك الثّقافة الأبويّة:

وكلمةُ حُزنٍ نسيها الرفاق

تَفتَّحَ حُزنٌ كثيرٌ غداةَ افترقنا[٣٠]

نلحظ أن تعبير (غداة افترقنا) هو تعبير أبويّ جاهليّ ضمنه الشّاعر نصه الشّعري بطريقة واعية عبر تسريبات قديمة تشبع بها في ثقافته السائدة، وهو أيضاً تناص من قول المتنبي:

وَلَو حُمّلت صُمُّ الجِبالِ الذي بِنا غَداةَ افتَرَقنا أوشَكَت تَتَصَدَّعُ[٣١]

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الشّاعر "يحمل آثار نصوص سابقة"[٣٢] له، وهذا دليل واضح على مدى تشرّب الشّاعر بثقافة سائدة، في مجتمع خضع لتسلط أبويّ لا يقبل بالتّمرد والخروج على سُننه الموضوعة، بل جعل ابنه البار . الشّاعر. به ينظم نصّه وهو "محمل بآثار نصوص أخرى"[٣٣]، تدل دلالة واضحة بأنّها تابع لهذهِ الهيمنة.

وقد سار على مسار النّسق الأدبيّ المتمثل بالشّعر العربيّ القديم الذي هو جزء من الثّقافة الأبويّة المهيمنة على النّصوص الشّعريّة الحديثة إذ يتناص الشّاعر مع النّص القديم بقوله:

لأطعم منه زغباً يطلبون الزاد في قر

العشيات الشتائية[٣٤]

وهو تناص من قول الحطيأة:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ زُغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ[٣٥]

إنّ هذا النّصّ هو صدى لنص، يُحاكي الشّاعر به نسيج تلك الثّقافة المتسلطة، التي جعلت من النصوص القادة من بعدها استمراراً لجهودها المبذولة في بناء قاعدة ثقافية أصيلة، وإن كان بهذهِ الثّقافة التّابعة تحديث بسيط إلا أنّها ثقافة أبويّة مستحدثة في شكلها فقط، إمّا في جذورها فهي قديمة بحتّة.

ومن ذلك قول البياتيّ في قصيدة (قصائد إلى يافا . أغنية) الذي يعود به إلى مقولات شعرية أبويّة فيتشرّب منها نصّه الشعريّ:

يا وردة حمراء، يا مطر الربيع

قالوا وفي عينيك يُحتضر النهار

وتجف رغم تعاسة القلب الدموع

قالوا تمتع من شميم

عرار نجد يا رفيق

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

فبكيت من عاري

"فما بعد العشية من عرار"[٣٦] .

وهو تناص من مرجعية قديمة وهي قول قيس بن الملوح (مجنون ليلى):

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار[٣٧].

فالشّاعر الحديث وقع تحت هيمنتها، على الرّغم من ذلك السبق الزّمني بين النصين إلا أنّه بقي مسيطراً على وعيه، إذ نلحظ ظهور تعالق في دخول البيت كاملاً في النّص لتستقيم البنية الأبويّة[٣٨]، فهي تتجلى واضحة عبر اجترارها في النص الحديث استدعاها الشّاعر ليغذي نصه بهيمنتها.

قد تجلت العلاقة بين الشاعر الحديث وبين الأثر الذي تُرك في وعيه، ذلك أن نلحظ أن النص يمت إلى المرجعيّة الشعرية الأبويّة القديمة بصلة كبيرة، وهذه الصلة كانت قد تركت وشائجها واضحة في وعي الشاعر، وقد كان حضور النّص التّراثي القديم بهيأة مضمرة تكوّنت بصورة خفية سعت الثّقافة الأبويّة في زجّها في مخياله الشّعري الجماعيّ الذي صيّرته عبر قراءته المتنبي في نصه الذي يتعالى كلّ شيء مخلوق في هذا الكون.

وقول للسياب، نجدُ فيه التناص منتزعاً من الثّقافة الأبويّة:

بُلينا وما تُبلى النّجوم الطّوالعُ ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع[٣٩].

بعد التّمحيص في النّص يتضح أن الشّاعر يُفيد من نص الشّاعر الجاهليّ لبيد بن ربيعة العامريّ في تكويّن صورته الذّهنية المستقاة من الأبويّة الثّقافيّة:

بَلِــينا وما تَبــلى النُّجومُ الطَّــوالــع وَتَبقَــى الجبالُ بَعدَنَــا والمَصَانِعُ[٤٠]

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وقد عَني التّناص بإبراز أثره في النّص الشّعريّ المستوحى من النّص القديم، الذي تأثر الشّاعر به في قوله (بَلينا وما تَبلى النّجومُ الطّوالعُ)، فهو قد صاغ نصّه بتعالقه بقول لبيد الذي تناص معه، وشابهه في سياق أدى إلى إعادة استحداث ثقافة أبويّة بشكل جديد.

يقول بلند الحيدريّ في نصه (ساعي البريد)، الذي يتناص مع بيت المتنبيّ، متأثراً بفكرته التي نمّت عن شدة هذا التّأثر بالثّقافة الأبويّة:

ولم تزل للناس أعيادهم
ومأتم يربط عيداً بعيدْ
أعينهم تنبش في ذهنهم
عن عظمة أخرى لجوعٍ جديدْ
ولم تزل للصِّين من سورها
أسطورة تمحى
ودهر يعيدْ[٤١]

نلحظ أن النصّ الحيدري يتداخل مع نصٍّ قديم يمكن أن يُمارس سلطة التّناص الأبويّة والبيت هو من العصر العباسي وهو للمتنبيّ الذي يقول فيه:

عيدٌ بأيَّة حالٍ عُدت يا عيدُ
بما مَضى أم بأمرٍ فيك تجديدُ[٤٢]

المعنى نفسه الذي قصده الشّاعر الأبويّ القديم، كان قد استعمله الشّاعر الحديث، وذلك بتحويله واستثماره للنص القديم، عبر سيرورة ثقافيّة مهيمنة على تكوينه الثّقافيّ. فالتناص الشّعريّ ما هو إلا عملية قد

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وجدت بشكل انسيابي في النّصوص اللاحقة، نتيجة القراءات المتتابعة لها من قِبل الأبناء البارين بها، ولن تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشريّ.

نلحظ أنّ هناك علاقة وطيدة بين النّص الشعريّ الحديث والنص القديم الذي سبقه من حيث التّناسب في السياق، إذ نجده مستعاداً من الأبويّة السّابقة، فهو قد تتبع مسارها في تحوله بحسب وعيّ الشّاعر بعملية توظيف الشّاعر للنص المستعاد.

تجسدت فكرة أثر التّناص الأبويّ في الشعر الحديث لرواد الحداثة، عبر توظيف أشعار قديمة أُستُحضرت من تراث ثقافيّ، اتّسم بسمة أبويّة سابقة جعلته يقبع تحت سلطتها القامعة لكل ما هو حديث، قد يحاول أن يأتي به من دون الرّجوع إلى نسيجها المجتمعيّ.

الخاتمة:

في خاتمة البحث نرى: أنّ شعراء الحداثة العراقيين الرّوّاد لم يتمكنوا من إقصاء (هيمنة الأب الثّقافيّ) من نصوصهم الشّعريّة في ظاهرة التّناص، سواء أكانت على مستوى التّناص القرآنيّ، أم على مستوى التّناص الشّعريّ، بل بقيوا خاضعين لسطوة الأثر الذي خلقَ في داخل لا وعيهم الرّغبة في السّير على خطاه، فهم وإن حاولوا راغبين في التّغيير لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك؛ لأنّهم باتوا متلبسين بسلطوية الأثر في التّناص اللغوي.

الهوامش:

١. التناص (نظرياً وتطبيقياً)، د. أحمد الزعبيّ: ١١.

٢. علم النصّ، جوليا كرستيفا، ترجمة: فريد الزاهي: ٢١.

٣ . يُنظر: تحليل الخطاب الشّعري/ استراتيجية التناص، محمد مفتاح: ١٢١.

٤. المصدر نفسه:١٢١.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٥. يُنظر: الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي:١٥. مقاربة نقدية في تقنية التناص، بو بكر غرابي٦٩.

٦. ثقافة الأسئلة، عبد الله الغذامي: ١١١.

٧. يُنظر: معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش: ٢١٥.

٨. ينظر: نظرية الأجناس الأدبية/ دراسات في التناص والكتابة والنقد، تزفيطان تودوروف، تح: عبد الرحمن بو علي: ٨٥.

٩. مصادر الرؤية الاجتماعية في شعر مظفر النواب/ دراسة موضوعية فنية (رسالة ماجستير)، حاكم فضيل عطيوي:٤٥.

١٠. الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب:٣٠٥.

١١. الشعراء:٢١٥.

١٢. الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب:٢٥٣.

١٣. النمل: ١٨.

١٤. الأعمال شعرية، البياتي:٢/٨٣/٨٤.

١٥. آل عمران:٢٦.

١٦ الأعمال الشعرية، البياتي:٢/٤١٧.

١٧. الكهف:١٠٩.

١٨. الأعمال الشعرية، البياتي: ٢/١٨٨.

١٩. الأنعام :٧٣.

٢٠. الأعمال الشعرية، البياتي: ٦٧.

٢١. طه: ٧٤.

٢٢. الأعمال الشعرية، البياتي: ٢/٨٢.

٢٣ . سبأ:١٤.

٢٤. المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة:٣٦٢.

٢٥. يُنظر: مصادر الرؤى الاجتماعية :حاكم فضيل:١١٠.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٢٦. التناص في شعر أحمد مطر، (أطروحة دكتوراه): عبد المنعم جبار عبيد: ١٦٢.

٢٧. يُنظر: التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل: ٢٧.

٢٨. ديوان بدر شاكر السياب، ٢٨٨/١.

٢٩. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام:، الخطيب التبريزي:٣٨٠/١.

٣٠ . الأعمال الكاملة، النواب: ٦٩.

٣١. الفسر شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جنّي النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق د. رضا رجب:٣٥٣/٢.

٣٢. المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة:٣٦٢.

٣٣. المصدر نفسه، ٣٦٢.

٣٤. ديوان بدر شاكر السياب، ١/ ٣٦١.

٣٥. ديوان الحطيئة بشرح أي الحسن السكري، اعتنى به أحمد بن الأمين الشنجيطي: ٨٠.

٣٦. الأعمال الشعرية الكاملة، البياتي،

٣٧. ديوان قيس بن الملوح، شرح عدنان زكي درويش: ١١.

٣٨. يُنظر: خطاب البياتي الشعري دراسة في الإيقاع والدلالة والتناص، محمد مصطفى حسانين:٢٨١.

٣٩. ديوان بدر شاكر السياب، ٣١/١.

٤٠. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري:١٦٨.

٤١. ديوان بلند الحيدريّ: ٢١٤

٤٢. شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي: ١٣٩/١.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

المصادر والمراجع:

–القرآن الكريم.

١. الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب، الأوديسا، (د،ت)

٢. الأعمال الشعرية، البياتي، دار الفارس، عمان،١٩٩٥م.

٣. الأعمال الشعرية، بلند الحيدري، دار سعاد الصباح، ط١، القاهرة، ١٩٩٣.

٤. تحليل الخطاب الشّعري/ استراتيجية التناص، محمد مفتاح، ط١، ١٩٨٥م، المركز الثقافي العربي. بيروت.

٥. التناص (نظرياً وتطبيقياً)، د. أحمد الزعبيّ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان الأردن،٢٠٠٠م.

٦. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل، ط١، ١٤٣١م .٢٠١١م، دار غيداء.

٧. التناص في الشعر العربي الحديث البرغوثي انموذجاً، حصة البادي، ط١، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، دار كنوز المعرفة العلمية.

٨. التناص في شعر أحمد مطر، (أطروحة دكتوراه): عبد المنعم جبار عبيد،١٤٢٩هـ . ٢٠٠٩م.

٩. ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية، عبد الله الغذامي، دار سعادة الصباح، ط٢، ١٩٩٣م.

١٠. خطاب البياتي الشعري دراسة في الإيقاع والدلالة والتناص، محمد مصطفى حسانين، الهيئة لقصور الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١١. الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي:١٥. مقاربة نقدية في تقنية التناص، بو بكر غرابي٦٩.

١٢. ديوان الحطيئة بشرح أي الحسن السكري، اعتنى به أحمد بن الأمين الشنجيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي مصر، (د.ت).

١٣. ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة بيروت . لبنان، ٢٠١٦.

١٤. ديوان قيس بن الملوح، شرح عدنان زكي درويش

١٥. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام:، الخطيب التبريزي(ت٥٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

١٦. شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، مطبعة السعادة، مصر ، (د.ت).
١٧. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي الكويت ١٩٦٢.
١٨. علم النصّ، جوليا كرستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، ط١، ١٩٩١.
١٩. الفسر شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جنّي النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٠. اللزوميات، أبو العلاء المعري، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).
٢١. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
٢٢. مصادر الرؤية الاجتماعية في شعر مظفر النواب/ دراسة موضوعية فنية (رسالة ماجستير)، حاكم فضيل عطيوي، ١٤٣١هـ.٢٠١٠م.
٢٣. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، ب الكتاب اللبناني بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
٢٤. نظرية الأجناس الأدبية/ دراسات في التناص والكتابة والنقد، تزفيطان تودوروف، تحقيق: عبد الرحمن بو علي،ط١، دار نينوى، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/٤,٠ International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة